أضرب الخبر

للخبر في اللغة العربية ثلاثة أضرب:

أ. الخبر الابتدائي: وهو الخبر الَّـذِي يكـون خاليًـا مـن المؤكِّـدات؛ لأنَّ المعلومـة في هـذا الأُسْلُوب تلقى على مخاطَب خالي الذهن من أيِّ تصـور مسـبق، أو أنَّـه مـوقن بمضـمون الخبر فلا يأتيه شك فيما يلقى إليه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**خَلَـقَ السَّـماواتِ وَالْـأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَـخَّرَ الشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ كُـلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**﴾، فجاء بعدد من الأخبار الخاليـة مـن المؤكِّـدات لإيمان من يخاطبهم بهذه الحقيقة بدليل قوله تعالى في السورة نفسها: ﴿**وَلَـئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَـنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾، فجاء بتركيب يخلو من أيِّ مؤكِّدٍ توافقًا مع حـال المخاطَب غير الشاك أو المنكر لحقيقة هذا الخبر.

ب. الخبر الطلبي: وهو ما تردد فيه المخاطَب فلا يعرف صحته من عدمها، ولذلك فإنه يحتاج إلى تأكيد الخبر بمؤكِّد يرفع به ما تردد في ذهنه فيزيل الشكوك ويلغي الشبهات؛ لأنَّ "التوكيد: تثبيت الشيء في النفس، وتقوية أمره"، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾.

وقد يؤدي اختلاف المخاطَب في أسلوب التوكيد إلى اختلاف الدلالة المستوحاة منه، ففي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ**﴾، قد تدلُّ الأداة (إنَّ) على التوكيد إن كان المخاطَب المشركين؛ لأنَّ حالَهم الشكُّ بهذه الحقيقة يطلب ذلك التوكيد، ويؤيد هذا الـمَعْنَى أنَّ الحق تبارك وتعالى يخاطبهم بعد هذا الموضع بقليل من السورة نفسها بقوله: ﴿**وَلَقَدْ أَهْلَكْنا أَشْياعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾، مما يدل على استعمال الأُسْلُوب بصورته المباشرة.

أمَّا إن كان الكَلَام موجَّهًا إلى مخاطَبٍ مثل النبي محمد (ﷺ) فإنَّ دلالته ستنحرف إلى معنى جديد كالعناية أو الاهتمام بمضمون الخبر لانتفاء أنْ يكون الرسول(ﷺ) شاكًا بمضمون هذا الخبر، وقد حاول ابن عاشور أن يجمع بين هاتين الدلالتين بقوله: "واقتران الكَلَام بحرف (إنَّ) لفائدتين: إحداهما الاهتمام بصريحه الإخباري، وثانيهما تأكيد ما تضمنه من التعريض بالمشركين؛ لأنَّ الكَلَام وإن كان موجهًا للنبي (ﷺ) وهو لا يشك في ذلك، فإن المشركين يبلغهم، ويشيع بينهم، وهم لا يؤمنون بعذاب الآخرة، فكانوا جديرين بتأكيد الخبر في جانب التعريض، فتكون (إنَّ) مستعملة في غرضيها من التوكيد والاهتمام".

ومثل ذلك يقال إن تغير المتكلم نفسه إذ يؤثر ذلك في فهم بعض الأَساليب، فالرسول محمد (ﷺ) له مكانة في نفوس المسلمين جميعًا وإن هذه المكانة هي التي تجعلنا نفهم قوله "**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**" بشكل مختلف تمامًا عن فهمنا لهذه الجملة نفسها لو صدرت من شاب عرف بلهوه مثلًا، فنحن نفهم كلامه (ﷺ) على أنه حقيقة ودرس علينا أن نتعلم منه، ولا نكترث لكلام الشاب ونعده هزلًا ولهوًا، فاختلاف شخصية المتحدث ومكانته كثيرًا ما تؤدي إلى اختلاف فهمنا للكلام.

ج .**الخبر الإنكاري:** ومن أمثلة هذا النوع من أضرب الخبر قوله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جاءَهَا الْمُرْسَلُونَ، إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ فَقالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ، قالُوا ما أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا وَما أَنْزَلَ الرَّحْمنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ، قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ**﴾، إذ قال في الجملة الأولى (**فَقالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ**)، فأكد فيها بـ (إن)، واسمية الجملة، وقال في الثانية (**قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ**) ، فأكد بهما، وبالقسم، واللام ردًّا على مبالغتهم في الإنكار في قولهم: ما أنتم إلا بشر مثلنا.

إذن فمراعاة حال المخاطَب في ترتيب القول هي الأصل والقاعدة التي يؤكد عليها علماء البلاغة وبعض علماء اللُّغَة الكلاسيكيين عند بحثهم في مدى مناسبة القول للمقام الَّذِي يقال فيه، أمَّا إذا حدث تجاوز لهذه القاعدة كأن ينزل خالي الذهن منزلة المتردد أو المنكر أو أن ينزل المتردد منزلة خالي الذهن أو المنكر، أو أن ينزل المنكر منزلة خالي الذهن أو المتردد فإن الأُسْلُوب سوف ينحرف عن الـمَعْنَى المرسوم له إلى معنى جديد.